بـــدءُ رحلـتـنـــا أم وصـــولْ؟

إلى محـــمـــود عـــبـــد الـــوهـــاب

ياسين طه حافظ

أنتَ هنا !
هذا السريرُ شاطئٌ صعبٌ
فقد يجتذبُ النائمَ فوقهُ الماءُ
وقد تهرب أنتَ منه طالباً ملتجأً آخرَ
لا قرارَ فوق هذي الضفة الصخرية
البيضاءْ
أراك صامتاً
تنظر في وجهي كمن أضاع خاتماً ،
كمن رأى عيباً على قميصه ، كمنْ
فاجأهُ خذلانْ !

خَيْبَةٌ هذه أم كَلالٌ
كأنك تطفو على زورقٍ يا صديقْ .
في الظلام العميقْ .
نحن لا نسألُ ماذا كسبنا
قدْرَ ما نسأل: كم قد أضعنا
؟

تسمع للقطار نازلاً إلى الجنوب
صاعداً إلى الشمال . نازلاً ...،
مضَت سنين العمر والقطار نازلاً إلى
الجنوب
صاعداً إلى الشمال نازلاً ... ولا
وصولْ –
ما هذه البشرى التي رفّت على وجهكَ
فجأة
وأنت في حجرتك الفقيرة العطوف
لا كأسٌ ولا رفوف ،
فهل يمرّ في الغياب وجهُها ،
تلك التي ودّعتَها من زمن ..
تجتاز كلَّ هذه الأسِرّة

أن تجيء ممرضةٌ
أن يجيب طبيبٌ يقلّب
أوراقَهُ
وهو ينظر مبتسماً فكأن
المخاوفَ تضفي عليه جمالاً
وتضفي السحابَ على
أوجه الجميعْ ..

انتهت الزيارة .
هذا القطار واقفٌ في غير ما محطة
وأنت في سريرك الحديدْ
تنظر للدنيا من الشباكْ .
ظلُّكَ ربما
يجلسُ في شقّتك المهجورة الباردة
يكتب شيئاً ، ربما خاتمةً لقصة أبقيتَها
وربما أرسلتَهُ أنتَ لكي يغيّر السطورَ
بعدما اضطرَبْتَ ، بعدما
أخافَكَ العبورْ .

خيرٌ لنا نوقفُ في الجائحة التفكيرْ
ما ضاع منا ضاعَ للأبدْ
ما ظل كي نعيشهُ دقائقاً راكضةً
وكالدجاج ننبشُ الحروفْ
لعلّ حبّةً
تمنحنا مهابةً ،
تمنحنا سندْ .

إنما أنتَ في حجرة
ليس تدري نهايتها
رجلاً أشيباً بجمال قديمْ
خافت الصوت ممتقعاً
ليس غير عقاقير بيض
وأسئلة ليس تدفع غيماً
ولا يدفع تكرارُها وَجَعاً .
كيف أنتَ ؟ لك الصحة.
دمتَ .
... نراك بخير..."
زبَدٌ زبَدٌ في الضفافْ

تجتاز بؤسَ البصرة المزمنَ كي تراكْ
تلمس كفّيكَ ، كما من قبلْ ، تستعيدُ
... ،
ثم تسحب اليدينْ
مكسورةً تعدّل الوسادة !

صمتُنا ليس يُكْتَبُ
يا صاحبي
صمتُنا لا يُقالْ ..

هل رحلة في الليل بين الله والكتابة
تبحث عن بصرتك الأخرى
تلك التي تفتح شبّاكاً لمن ترضى
تلوحُ خلف القش والأوجاع للآتي
المصابيحُ
أم أنها تلك القناديلُ التي عرفتَ من
زمان
صاغرةً في التيه ما تزالْ
تقرُّ للأصقاع في أضوائها الريحُ؟

سيظل هنا بَجَعٌ شائخٌ
فوق هذي الصخور المغطّاة
بالنمش الأخضر منتظراً
أن يجَيء الربيعْ –

لمْسَهُ الحب قد غادَرَتْنا
ويوم أضَعْنا اللقاءات
ضعنا !

أسلِسْ لي القيادَ هذه المرّةَ
كي أُخرجَك الساعةَ من مشْفاكَ،
دعنا من الأحزانْ ،
نمضي إلى غرفتنا ، تعرفُها في
"فندق العيونْ "
ننسى الذي كان الذي يكونْ
كأسين، في الثالث نستطيع
نجرُّ هذا العالمَ الوضيعْ
من قدميه.... للقمامة!
إني عرفتُ بصرةَ الأشرعةِ التمورِ
والذهَبْ ،
أعلم أن فتْيَةً مرّوا هنا
وعلّقوا حلوَ المصابيح لها ،
لكنني ،
أبقَ على الفراش هادئاً
لا أسفٌ ينفعُ ، لا غضَبْ
كل البساتين هنا محروقةُ الوجوهْ
وتلكُمُ المدينة
كومٌ من الحجار و الحطَب .
أبقَ على الفراش هادئاً
لا أسفٌ ينفع لا غضَبْ !

ما تزال الرياحُ هنا
تنزع اللافتات وتلقي بها
للخرائب
وتعود هنا اللافتاتْ
وتعود الرياحُ لتلقي بها .. ،
أيُّ دنيا مدَمَّرة هذه ؟

شوارعُ البصرة لا تجيب عن سؤالْ
حيثُ أدرتُ الوجهْ
حزنٌ على البيوت
وخرق ترفّ في الهواءْ
كم عمرُ هذا الداءْ ؟

لو نترك المكانَ ، شعلةٌ ورديّةٌ هناك
تنتظر
وزهرة جديدةٌ تفتحت (حين مضيتَ ،
برعماً كانت)
وما يزال ذلك الكتاب مفتوحاً على
المنضدة القديمة.
وأنت منفيٌّ هنا في الطابق الخامس،
كم؟ نسيت
لو تعجّل الخطا ، هذا مكان صامتٌ
بلا سبب
وصاخبٌ بلا سببْ
دع هذه الجريدةَ الخرقاءَ عجّل الخطا
أرى ظلاماً في النهار وأرى سُفْناً بلا
أشرعة
تجمّعَتْ وغادرتْ شطَّ العربْ !

هل غفوةٌ أخرى ؟ كأنْ ترقب وجهاً جاءْ
كأنما البصرة في حياءْ
واقفةٌ في البابْ
تخجل من ثيابها الرثّة من سحنتها
الصفراءْ !

أنت تبتسمُ الآن وكأسُك
خال ؟
تعاتَبُ أحزانَك الطارئات
لتُقنِعَها بالعدولْ ؟

محمود عبد الوهاب

لست أعرف ماذا يدور هنا
بدءُ رحلتنا أم وصولْ ؟
خائف أنا من صمته
لو برحنا المكانَ ، فَذا طابق
موحشٌ
تتلاشى عليه الفصولْ
والشَجَراتُ البعيدةُ لا
تتحرك أغصانُها
والممرّضةُ العابرة
مُتَكتِّمةٌ لا تقولْ !

"انتهت الزيارة .
خذْ كوبَ ماء. حَبّةً ثانيةً. أسحَبُ فوقك
الغطاءْ."
مغادر أنا. حقيقة موجعةٌ أتركها في
البابْ :
كنا نغطي الوجهَ بالأحلام والكتابة
بوَهمَ الفردوس في السباخْ
بضجّة الحياة حولنا وصخَب الطريقْ
لكننا في آخر الرحلة ، نترك المحطة :
مدينةٌ بعيدة هزيلة الأضواءْ
نمشي لها منفردينَ ، وحدَنا ،
محفظة صغيرةٌ في يدنا ومعطفٌ يصدّ
عنّا البردْ،
لا فندقٌ ، لا بيتْ ...
.....
أوجاعنا واحدةٌ ...، جاء الطبيبُ الآن !

كاتبة قصص بوليسيّة تكتب رواية عنها .. هل ماتت جين أوستن مسمومة؟

ترجمة: نجاح الجبيلي

بعد ٢٠٠ سنة تقريباً على وفاتها نسب سبب موتها وعمرها ٤١ سنة إلى العديد من الأسباب منها موتها بالسرطان ومرض أديسون. والآن كشف تحرّ من كاتب روايات بوليسية على احتمال جديد أنها قد توفيت بسبب السم بالزرنيخ.
انتقلت الكاتبة لينديسي أشفورد إلى قرية أوستن في "شاوتاون" قبل ثلاث سنوات وبدأت تكتب روايتها البوليسية في مكتبة أخي الروائية ببيته السابق في "جاتاون هاوس". وسرعان ما أصبحت مستغرقة في مجلدات قديمة لرسائل أوستن وفي صباح أحد الأيام اكتشفت "جملة كتبتها أوستن قبل بضعة أشهر من موتها" تقول فيها: " أنا الآن أحسن إلى درجة ما وبدأت استعيد مظهري قليلاً الذي كان سيئاً ، أبيض وأسود وكل لون مشين".
وبعد أن أعادت البحث في تقنيات قضائية حديثة وسموم لرواياتها البوليسية إلا أن أشفورد أدركت في الحال أن الأعراض يمكن أن تنسب إلى التسمم بالزرنيخ الذي يسبب دمامل تشبه قطرات المطر إذ تصبح مناطق في الجلد بنية أو سوداء وبقية المناطق بيضاء.
وبعد فترة قصيرة التقت رئيسا سابقا لمعهد جين أوستن في أميركا الشمالية الذي أخبرها أن خصلة الشعر لأوستن المعروضة في متحف قريب قد جرى فحصها بحثاً عن وجود الزرنيخ من قبل زوجين أميركيين توفيا توا، وكان قد اشتراها في مزاد عام ١٩٤٨ وقد كان من المحتمل جداً بأنها كانت تعطى دواءً يحتوي على الزرنيخ. حين ننظر إلى مجموعة الأعراض التي تعانيها وأقارنها مع مجموعة أعراض الزرنيخ نجد تشابهاً مدهشاً. أنا في غاية الاندهاش أن أحداً لم يفكر به سابقاً لكني لا أعتقد أن الناس أدركت تماماً كيف أن الزرنيخ كان يستعمل كدواء. لكني ككاتبة قصص بوليسية فقد قمت بالكثير من البحوث عن الزرنيخ، وأعتقد أنه كان شيئاً من الاكتشاف بالصدفة، وأن شخصاً مثلي جاء لينظر إلى رسائلها بعين مختلفة عن الأعين التي نظر بها الناس إلى جين أوستن. وكان الحظ هو الذي جاء بهذه المعرفة والتي لم تأت بها الأكاديميات المتخصصة بأوستن".
الفحص إيجابياً.
تقول أشفورد بأن التسمم الدائم بالزرنيخ يعطي جميع الأعراض التي ذكرتها أوستن في رسائلها خلافاً للاحتمالات الأخرى التي وضعت حول موتها من مرض أديسون إلى مرض السرطان. كان الزرنيخ متاحاً بصورة واسعة في ذلك الوقت ويسلّم على شكل محلول فولر كعلاج لكل شيء من الروماتيزم – الذي كانت أوستن تعانيه كما تذكر في رسائلها- إلى السفلس.
تقول أشفورد:" بعد بحثي أعتقد بأنه وعلى الرغم من أن أشفورد تعتقد ، بناءً على الأعراض وعلى حقيقة أن الزرنيخ كان منتشراً بصورة واسعة في ذلك الوقت، أنه من "المحتمل جداً" بأن أوستن كانت تعاني التسمم بالزرنيخ بعد أو وصفه الطبيب لها لمرض آخر إلا أنها تتحرى إمكانية أن تكون الروائية قد قتلت بالزرنيخ في رواياتها الجديدة "الموت الغامض للسيدة أوستن". وتضيف:" لا أعتقد أن القتل كان غير مثير للشك. فالتنقيب في خلفية عائلتها ثمة الكثير من الأمور جرت ولم يجرِ اكتشافها وربما يوجد دافع للقتل. في بواكير القرن التاسع عشر كان الكثير من الناس يلقون حتفهم بالقتل بالزرنيخ لأنه لم يكن ثمة فحص عن الزرنيخ إلى أن اكتشف فحص مارش عام ١٨٣٦، وقد أصبحت هناك إمكانية للكشف عنه في البقايا البشرية".
تقول البروفسورة جانيت تود المحررة في طبعة كامبردج لأعمال جين أوستن: إنه لا يمكن الاعتقاد أنها قتلت بالزرنيخ. وتضيف:" أشك في أنها قد جرى تسميمها عن قصد. اعتقد أنه من غير المحتمل حدوث ذلك. لكن إمكانية أنها كانت تأخذ الزرنيخ للعلاج من الروماتيزم واردة. لكن من الغريب بالتأكيد أنها ماتت وهي شابة. لكن في غياب التنقيب والبحث لا يمكن أن نعرف كيف ماتت".
وعلى الرغم من أن أشفورد راغبة جداً في رؤية عظام أوستن يجري تحليلها بالوسائل الحديثة عن وجود الزرنيخ إلا أنها تقبل على أن ذلك لا يمكن أن يحدث. وتضيف:" أفهم تماماً بأن الناس لن تثيرهم الفكرة".

مـــهـــدي! لمـــــاذا لا تـفـتـــح لي الـبـــاب؟

عواد ناصر

مهدي!
مهدي!
مهدي!
هل تسمعني؟
إنني أطرق بابك منذ
البارحة ولم تفتح. لعلك
نائم نومة عميقة بعد أن
أفرطت في تناولها صرفاً،
كما أعرفك. رجاء، افتح
الباب!

الليلة البارحة كانت باردة، أو لعلني الوحيد الذي شعرت بهذا، ثمة ريح، أيضاً، تقف بيني وبين الباب، بابك، وأعاود الطرق لكن يدي لا تصل..
أحاول ويدي لا تصل!
طيب، سأنتظر.
نضال مريضة. أعرف هذا، وهي لا تستطيع النهوض من سريرها إلا بمشقة أن تنهض جثة منقوعة بالأنسولين.
أمضيت حياتك تعمل ممرضاً مخلصاً، بلا ضجر ولا شكوى، لتسعف زوجتك نضال، طيلة أكثر من ربع قرن. إن هذا وحده يجعلك أكثر الناس نبلاً. كم أغبطك على هذا النبل النادر.
.. وأطياف؟ هل هي، الأخرى، نائمة؟
لالا، لعلها في الشام تحضر إحدى المسرحيات.. المسرح وطنها ووجعها اللذيذ. أعرف هذا أيضاً.
أدهشتني أطياف التي تتكلم الإنكليزية أفضل منا، نحن المقيمين في لندن.
مهدي!
أحمل لك أشياء تحبها، كتباً وقصائد، وقنينة ويسكي أصلية.. فلماذا لا تفتح الباب؟

لعلك تتذكر لقاءنا الأخير، في حلب حيث تقيم، وكيف ضحكت مني لأنني حاولت تقليد طريقتك في الجلوس وأنت تثني ساقيك تحتك.. على الكرسي.
قلت وقتها: إنها جلستي الشخصية عصية على التقليد. إنها نوع من السهل الممتنع. حتى أنا ضحكت من نفسي.
سألتك، حينها: كيف تعيش؟ كيف تدفع إيجار هذه الشقة؟ قبل أن أسألك عن الشعر.
الشعر يكتب في أي مكان، لكن الشاعر لا يقيم في أي مكان.
قلت لي: الشقة شقة صديق أعارني إياها، والعيشة دابرة: أكتب هنا وهناك.
أريد أن أذكرك بذاك المقال الشيق الذي كتبه عنك الشاعر السوري مروان مصري، حيث قال:

"هل تريد رهطاً أكثر قدسيَّة من هذه الأقانيم الثلاثة، محمد، علي، مهدي، الذين يتألف منهم اسم الشاعر العراقي مهدي محمد علي؟ كيف لرجل يحمل هذه الأسماء، مثلاً، أن يكذب، أو أن يسرق كتاباً، أو يخون زوجة، أو ينمّ عن صديق... وغير هذا مما لم أعرفه

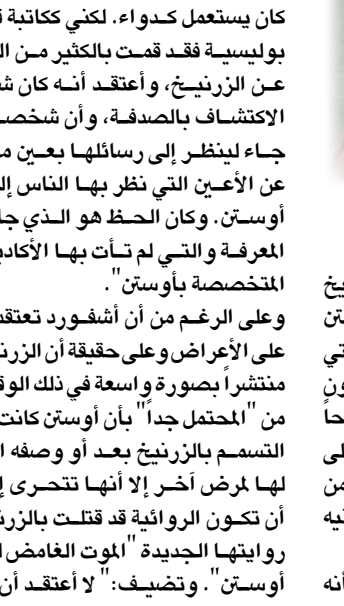

يوماً في مهدي. أو أسأل نفسي، كيف له، بكل هذه الأسماء المهيبة، أن يُمَسَّ بضرٍّ، أو يُهدد، أو يخاف؟ كيف له بعد هذا أن يهاجر ويحيا مشرداً خارج وطنه، ربع قرن؟ بل كيف له وهو المضرور المهدد الخائف المشرد أن يحب ويتزوج وينجب طفلة، ثم يكرس حياته كلها لأجلهما، كيف له أن يسمي حلب، التي ينزوي فيها، بصرة حلب، ويكتب كتاباً كبيراً عن بصرته من دون أن يحتوي أي صورة، لشارع أو لساحة أو لمبنى وزارة أو لتمثال، هل هذا لأنه ليس لديه أي صورة للبصرة، أو أنه كان يريد صوراً معينة من أين أن يأتي بها؟ كيف له حين يشاهد زهرة شقائق نعمان وحيدة، فيقول: (يا شقيقة النعمان الوحيدة / أين بقية شقيقاتك؟)".
حقاً، أين بقية شقيقاتها؟
افتح الباب، يا أخي، يا صديقي، إنني أدق.. أدق منذ البارحة، وليلتي باردة كانت وموحشة، لأنك تركتني في العراء.
هل هو أحد مقالبك؟ تتركني، وحيداً، في عري الليل البارد.. أدق بابك ولا تفتح؟
كم كان يعجبني أن نستعيد (رحيل ٧٨) وأن نكتشف معاً (سر التفاحة) ونوقد (شمعة في قاع النهر) ونقتفي (خطى العين) ونبتهج في (ضوء الجذور).
لا لالا، لم أنس طبعاً (جنّة البستان) كتابك المخلص عن البصرة.. تلك الجنة الوافرة، هذا الخراب العميم.
هل أنت زعلان؟
لماذا لا تفتح الباب لي؟
أنا الذي ينبغي أن أزعل. نحن على موعد وقلت لي إنك تنتظرني. وها أنت لا تفتح الباب لي.
تركتني في عري ليلتي القاحلة.. متكوماً عند عتبة بيتك وحيداً.
لماذا فعلت بي هذا، أيها الجواد النحيف الأصيل. الجواد الخفيف.
أنا زعلان حقاً، ولن أكلمك بقية حياتي.
من قصيدة مهدي: أغنية لجواد بعيد !
الجواد النحيف الأصيل
الجواد الخفيف
يرسم الأفق – لوحته – بالغبار
بالغبار الخفيف
بالغبار الذي يتطاحن وقت الأصيل
الجواد الخفيف
هاهو الآن يعدو
ببرّية غادرت شمسَها الآن
برّية لم يساور مداها ندى الليل
لم تحترق بالأصيل
ولكنها مثل قطن
تماوج تحت الحوافر
– لا نسمع الوقع –
أو تحت رقص الجواد على الأفق
وهو يخب بلا فارس
دونما سرجه
دون شمس تغيب
ومن دون ليل يساور أعرافه
أو يحاور أطرافه
أو يباغت خصلة ذيل له
راح ينشر تشكيلة الشّعْرِ تلمع من
ذاتها
الجواد النحيف الشريد
الجواد البعيد
يرسم الأفق دون ضياء
ودون ظلام.

لندن – ١ كانون الأول
(ديسمبر) ٢٠١١

قناديل

▪ لطفية الدليمي

محو الهويّة وثقافة الاندماج

المدمنون على قتل المباهج سادة الحروب من طغاة أية سلطة وساديو الحضارة، الذين لا بديل لديهم عن الحرب سوى الانتحار بحروب أخرى، يحاولون إدماج البشر في صيغة واحدة لا تفرّد فيها ولا امتياز شأنهم شأن المتشددين الذين يقسرون الناس على العيش ضمن نمط واحد يقررونه على البشر، وكأن الناس رعية أو أقنان مملوكون لأهل العقائد والأيدلوجيات وأرباب السلطة سياسية أو دينية، وتعمد كل سلطة مهيمنة في العالم إلى إعادة صياغتك وتشكيلك حسب رؤيتها الواحدية للإنسان والعالم ، وإن قيّض لك أن تعترض وتتمرد فلسوف تجدك ملقى في عراء الوحشة ومنبوذا من أولئك وهؤلاء..
يحدث في المنافي الأمر ذاته بل هو أقسى وأشد وطأة، ففي المنافي يقسرونك على الاندماج والتغير واكتساب عادات مختلفة ،ويطالبونك بأن تغير إيقاع روحك بإلغاء كل ما أتيت به من أثقال تكوينك الأول ، أن تنسى وتمحو رواسب مجتمعك في قرارة العقل وعمق الروح ، وعليك أن تذوب في الجماعة الجديدة متخلياً عن ذاكرتك، فلا هنا وجدت نفسك، ولا هناك عرفت من تكون ، ويقسر المنفي والمتغرب على محو ذاكرة أمسه وعليه تقبل الانمساخ لتقمّص شخصية افتراضية جديدة تقف على برزخ قلق بين ذاكرة راسخة يتطلب محوها مكابدات وعذابات ، وبين مخيلة ممتحنة تحاول أن تستوعب التعديلات المطلوبة وتحاول أن تتجرعها فتفشل غالبا .
تجربة المنفى تجربة اقتلاع وإعادة زراعة – بوسع النبتة الصغيرة التي لم تمد جذورها عميقا في أرضها أن تنبت جذورا في التربة الجديدة – وقد تورق وتزهر وتتأقلم – غير أن الشجرة الناضجة تصعب إعادة إنباتها في تربة غريبة وقد تمد جذورا واهنة برهة زمن لكنها تتهاوى على نحو مباغت.
وكذلك نحن الكبار الذين أرغمنا على مغادرة بيئتنا بعد أن تكونت مفاهيمنا وترسخت جوانب شخصياتنا واتخذنا مواقف فكرية مستندة إلى معطيات ثقافتنا وتجارب عيشنا في مجتمعاتنا ، وقد واجهت تلك اللحظة المروعة عندما حصلت على إقامة عشر سنوات في فرنسا وجواز لاجئة ،ولكني قررت مغادرة فرنسا في اليوم ذاته حين دعيت لحضور اجتماع يهيّئ اللاجئين للاندماج في المجتمع الجديد ، كان معي خليط بشري من جميع القارات والأجناس :عاملات تنظيف وطلاب وعاطلون وأفاقون وناشطون، وبدأ المحاضر مادته بأسئلة عن فرنسا وتاريخها وشعار ثورتها المتخذ دليلا لحاضرها، وشكل علمها ونشيدها الوطني وقوانينها ، ثم مضى يفصل القوانين وحقوق المواطن ومتطلبات الاندماج : أن ينسى المرء ما يتعلق بمجتمعه الأول وينسلخ تماما ويتبنى عادات جديدة وسلوكيات مختلفة، كانت معنا سيدة مغاربية ، سألها المحاضر ماذا ستفعلين لو تحرش بك رجل في المترو؟
رفعت السيدة حقيبة يدها وقالت سأضربه بحقيبتي – قال المحاضر هذا يعد خطأ كبيرا واعتداء على مواطن، عليك أن تقدمي شكوى لدى البوليس– قالت والرجل ألم يعتد عليّ؟ ألستُ مواطنة ؟سينزل من المترو وأذهب إلى البوليس ولن يجدوه ويضيع حقي – قال المحاضر عليك أن تذعني لثقافة هذا البلد وتنسي ما تمليه عليك ثقافة بلدك – ضحكت السيدة وقالت – لن اقتنع بقانون يبيح للآخر الاعتداء عليّ دون أن أدافع عن نفسي – قال لها الرجل :لابد من تغيير منظومة تفكيرك هنا في ما يخص مفهوم رد الاعتبار، فالقانون كفيل بحماية حقك – لابد من أن تتغيري وتتبني ثقافة مجتمعنا ، انسي تقاليد وطنك الأم وكوني شخصا جديدا – في تلك اللحظة اتخذت قرار المغادرة إلى بلد لا يطالبني بمحو الذاكرة ونسيان ما تشكلت منه شخصيتي وثقافتي.